

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ الإسلامي

جامعة الأمير عبد القادر

للتعليم الإسلامي

قسنطينة

رقم التسجيل: 01/ح/ت. 94/

الرقم التمسلي: 94/

الجالية الفرنسية ودورها الاقتصادي والسياسي في
الجزائر أواخر العهد العثماني 1750-1830

بحث، مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

تحت إشراف

أ. د. أحمد عبد تميمراوي

إعداد الطالب الباحث

عبد المجيد قدير

الجامعة الأصلية	الصفة	الرتبة	أعضاء اللجنة
جامعة الجزائر	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	أ. د. عمار بن خروف
جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	أ. د. أحمد عبد تميمراوي
جامعة سيدي بلعاس	عضوا	أستاذ محاضر	أ. د. حنفي هليلي
جامعة قلعة	عضوا	أستاذ محاضر	أ. د. صالح فركوس
جامعة الأمير عبد القادر	عضوا	أستاذ محاضر	أ. د. محمد فرجاتي
المدرسة العليا للأساتذة	عضوا	أستاذ محاضر	أ. د. الطاهر عمري

السنة الجامعية

1428-1429 هـ / 2007-2008 م

الإهداء

إلى معشر العلماء الذين وهبوا كل حياتهم لخدمة العلم والدين .
وأناروا بها طريق المعرفة الصحيحة لمن يطلبها .
إلى جميع طلاب العلم أمل البلاد ورجال المستقبل .
إلى كل العاملين بإخلاص من أجل خير الدنيا وسعادة الآخرة .

أهدي هذا العمل المتواضع

المختصرات

ج.م.م = جمعية المكتبات المدرسية

د.م.ج = ديوان المطبوعات الجامعية

د.ن = دون تاريخ

ش.و.ن.ت = الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ع = عدد المجلة

ف = فرنك

لويس XIV = لويس الرابع عشر

لويس V X = لويس الخامس عشر

لويس XVI = لويس السادس عشر

لويس XVII = لويس الثامن عشر

م.ت.م. = المجلة التاريخية المغربية

م خ ف/م = محفوظات الخارجية الفرنسية

م.م. = مؤلف مشارك

* = الباب الأول

** = الباب الثاني

*** = الباب الثالث

A. N. P = Archives Nationales de Paris

A.N.P.AE = Archives Nationales de Paris des Affaires Etangers

C.C.I = la Chambre de Commerce et de l'industrie de Marseille

Cie = Compagnie

N.Y. = new York

L/111 A.CHM = Archives de la Chambre de Commerce de Marseille

L, 111 = Cie.R.A = la Compagnie Royale d' Afrique

- A.C.C.M.M.Q - Archives de la Chambre de Commerce de Marseille

R.A = Revue Africain

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإخلاص إلى يوم الدين. تشمل المقدمة على العناصر التقليدية للبحث، مع إبراز الإشكالية التي تحاول الدراسة أن تجيب عنها. وهي تتكون من عدة نقاط سنتعرض لها كالآتي:

- 1 - أهمية البحث ودوافع اختياره :
- 2 - إشكالية الموضوع
- 3 - منهجية البحث
- 4 - خطة البحث مفصلة
- 5 - نقد المصادر والمراجع
- 6 - الدراسات السابقة

أولا : أهمية البحث ودوافع اختياره

لقد عرفت الجزائر كغيرها من بقية بلاد المغرب العربي- عبر تاريخها الطويل- جاليات أجنبية عديدة، أثرت على حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأبرز تلك الجاليات هي التي وفدت إلى الجزائر خلال العهد العثماني مع بداية العصر الحديث وهي:

- الجالية الأندلسية في العصر الحديث [تشتمل على المهاجرين الأندلسيين واليهود من إسبانيا].
- الجالية العثمانية التركية.
- الجاليات الأوروبية.

ونظرا لكون الجالية العثمانية التركية، كانت تتكون أساسا من طبقة الحكام والفئة الميسورة الحال، فقد نالت حظا وافرا من اهتمام الدارسين والباحثين. وكذلك الحال أيضا بالنسبة للجالية الأندلسية، التي درست أيضا من قبل بعض الباحثين المختصين لاسيما المغاربة منهم(*) وبقيت الجاليات الأوروبية بالجزائر تمثل فراغا ملحوظا في مجال الدراسات الإنسانية والاجتماعية، بالنسبة لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر بصفة عامة، ولتاريخ الفترة العثمانية بالجزائر بصفة خاصة . ولاسيما لقراء اللغة العربية .

ونظرا لاتساع الموضوع وامتداده العمودي والأفقي، رأينا أن نقسمه إلى شرائح حسب

*- من الباحثين الذين درسوا هذا الموضوع / محمد رزوق " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي " . المجلة التاريخية المغربية . ع 13 / 14 ، نوفمبر 1986 . ص 133؛ أنظر أيضا: عبد المجيد قنور . هجرة الأندلسيين إلى الجزائر ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16 / 17م . معهد الحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة (ماجستير 1994) . هذا فضلا عن وجود مركز التميمي المتخصص في الدراسات الموريسكية والعثمانية بمدينة بتونس وزغوان التونسيين .

الجاليات الأوروبية، لكن اتضح لنا أيضا، أن كل جالية منها، يمكن أن تكون موضوع دراسة مستقلة ومستفيضة. فعزما على حصر البحث حول الجالية الفرنسية وحدها. وحينما عرض الموضوع على الأستاذ المشرف أجاب قائلا: "أرى أن موضوع الجالية الفرنسية بالجزائر واسع وعريض. ومن أجل التحكم في الموضوع، ينبغي تناول الجالية الفرنسية بالجزائر خلال فترة زمنية بعينها". وبعد أخذ ورد، توصلنا في النهاية إلى العنوان الذي هو بين أيدينا الآن، وذلك لعدة دوافع نوجزها كالآتي :

أ- لقد لعبت الجالية الفرنسية بالجزائر دورا بارزا في الحياة الاقتصادية، ولاسيما في ميدان التجارة الخارجية، واستطاعت فرنسا أن تحصل على امتيازات اقتصادية وسياسية خاصة، من طرف الباب العالي، ثم من طرف الدولة الجزائرية مباشرة، بمقتضى المعاهدات المبرمة بين الطرفين، ولمدة ثلاثة قرون، الأمر الذي جعل نفوذ بعض التجار الاجانب- مع مرور الزمن- يطغى، ويمتد إلى مجالات تتعلق بحياة الأمة الجزائرية وسيادتها وأمنها ومصيرها.

ب- كانت الجالية الفرنسية تمثل جانبا في الصراع بين الجزائر وأوروبا، ولاسيما فئات كل من- القناصل والمبعوثين الرسميين والرحالة- التي كانت تعمل دائما لصالح الدولة الأم. هذا فضلا عن أن فرنسا- التي كانت تهدف دائما لاحتلال الجزائر والسيطرة على المنطقة- استطاعت أن تحتكر ميدان التجارة الخارجية بالجزائر بواسطة جاليتها، واستغلت امتيازاتها للجوسسة وللأغراض العسكرية. وكل ذلك جرى بواسطة الجالية الفرنسية أيضا، وعلى رأسها الممثل الدبلوماسي الفرنسي الأول بالجزائر. وهو القنصل. وظلت فرنسا على سيرتها تلك، حتى كانت نهاية الحكم العثماني بالجزائر- في آخر المطاف- على يدها، وبمساهمة كبيرة من قنصلها العام- الأخير- وتدبيره. وهذا أمر ينبغي طرحه للبحث الأكاديمي .

ج- ومن المؤكد أن دراستنا للجالية الفرنسية بالجزائر خلال العهد العثماني، ستعطينا صورة صادقة عن الحياة السياسية والاقتصادية بالجزائر أواخر العهد العثماني، الأمر الذي يعكس لنا مكانة الجزائر الدولية وهبتها العالمية في تلك الفترة، وفي نفس الوقت تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن الأسباب الحقيقية التي جعلت الجاليات المختلفة تتوافد على هذه الأخيرة، وجعلت الدول الأوروبية تتهاقت وتتسابق لكسب ودها، وعقد الاتفاقيات معها، وتسعى لإبرام المعاهدات أو تعديلها أو تجديدها من وقت لآخر، وكان في مقدمة تلك الدول المتسابقة، والأكثر حرصا على

مرعاة تطبيق المعاهدات والمحافظة عليها، هي الدولة الفرنسية بطبيعتها الحال .

هذا وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع بالنسبة لكل من الجزائر وفرنسا- سواء بسواء- لا نجد من الكتاب والمؤرخين من تناوله بالبحث والدراسة، إلا القليل النادر، وبقي الموضوع شبه شاغر، وحتى الذين كتبوا حوله- على قلتهم- هم من الأوروبيين، وهؤلاء كتاباتهم عبارة عن مقالات في الدوريات أو بعض الكتب النادرة. فضلا عن أن كتابات بعضهم تبدو أحيانا غير موضوعية وأحيانا تغلب عنها النزعة الذاتية والأحكام المسبقة، فهم يهاجمون الجزائر جهرا وعلانية، بل وكل سكان شمال إفريقيا. ويعتبرونهم مجرد قرصنة ولصوصا، ليس لهم تاريخ مجيد، ولماضي مشرف* في الوقت الذي تزخر فيه مكتباتهم، ومرآكز الأرشيف لديهم، بالوثائق الرسمية التي تشهد على عظمة الجزائر، وتشيد بتاريخها المشرف. ويكفيها أن تذكر لنا أن الجزائر التي كانت في أوج قوتها، قد انقذت فرنسا مرتين من السقوط والانهيار المحقق (**).

ومع ذلك الموقف الفرنسي السلبي الذي قابلته الجزائر بالإحسان، أساء نابليون بونابرت إلى هذه الأخيرة التي أحسنت إليه. وأنكرت فرنسا- تماما- ديونها نحو الجزائر، بل راحت تدعي بأنها تمتلك مناطق امتياز ومؤسسات بالشرق الجزائري تعد مكتسبات فرنسية ؛ ونظرت إليها نظرتها إلى مستعمراتها بجزر الأنتيل بالبحر الكاريبي شرق المكسيك .

وبناء على ما سبق ذكره، يتضح أن هذا الموضوع يتطلب دراسات عميقة ومتأنية، ويحتاج إلى بذل مجهودات جبارة لحل- طلاسمه- ومعادلاته الصعبة، وبقلام وطنية منصفة، تتحلى بالموضوعية والصدق. وذلك لتصحيح الحقائق التاريخية المشوهة عمدا، ووضعها ضمن إطارها التاريخي العلمي اللائق. ونأمل أن يكون هذا البحث بداية لسلسلة- قد تطول- من الدراسات والأبحاث الجادة، حول موضوع الجاليات الهام، والجدير بالدراسة والاهتمام.

ومن الأسباب والدوافع السابقة الذكر- أيضا- ظهرت لنا أهمية دراسة الجالية الفرنسية بالجزائر في تلك الحقبة الزمنية الهامة من تاريخ المنطقة الحديث، لاسيما وقد ثبت أن أغلب قضايا اليوم،

* -Veillot (L). les Francais en Algérie souvenirs d' un Voyage fait en 1841. Tours. pp16- 18

**- المرة الأولى عندما أسرعت الجزائر إلى نجدة فرنسا (1515-1547) موصلت على تخليصه من بين براتن غريمه شارل الخامس الذي أصبح سنة 1519 على رأس أكبر إمبراطورية في العالم؛ أما المرة الثانية فهي وقوف الجزائر خلال القرن الثامن عشر إلى جانب فرنسا أيام حروب الثورة الفرنسية، وحروب نابليون الأول لأكثر من عشرين سنة أنظر: جلال يحيى. التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر. الإسكندرية م. ج. 1983، صص 190-191؛ الأصالة الجزائر ووزارة لتعليم الأصلي. ع8 مايو جوان 1972. ص 91 .

تعود بجورها إلى تلك الفترة المليئة بالأحداث العظام، التي مازالت تنتظر الكشف عنها. وأغلب تلك الأحداث هي من صنع الجاليات الأوروبية بالجزائر أو بمساهمتها، وعلى رأسها الجالية الفرنسية- بصفة خاصة- صاحبة الامتيازات الاقتصادية والسياسية، وعلى مستوى لم تبلغه جالية دولة أوروبية أخرى بالجزائر على الإطلاق وفي كل الأوقات.

ولعل هذا وحده كاف- في نظرنا- لجعل موضوع الجالية الفرنسية بالجزائر، جديراً بالدراسة والاهتمام من طرف الباحثين، سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات، وذلك للوقوف على جوانبه الإيجابية والسلبية، فحاول الاستفادة منها، وأخذ العبر والدروس التاريخية النافعة .

كل ذلك كان مشجعاً ودافعاً قوياً لنا لتناول هذا الموضوع، بطريقة منهجية أكاديمية، يستفيد منها قراء اللغة العربية، ويتعرفون- من خلالها- على جانب هام من تاريخ المغرب الإسلامي المجيد، وحضارته الخالدة، وفي مقدمتها العلاقات التاريخية بين الجزائر وفرنسا في العصر الحديث، وقد اخترته كعنوان لأطروحتي لرسالة الدكتوراه تحت عنوان: " الجالية الفرنسية ودورها الاقتصادي والسياسي في الجزائر أواخر العهد العثماني 1750-1830".

ثانياً: إشكالية الموضوع

تقوم إشكالية هذا الموضوع على مجموعة من الأسئلة نطرحها كالآتي :

هل كانت هناك جالية فرنسية فعلا- في الجزائر خلال الفترة المدروسة ؟ أي أواخر العهد العثماني. وما هي أهم الفئات المكونة للجالية الفرنسية بالجزائر؟ ثم ماهي أهم الهيئات السياسية والاقتصادية الفرنسية بالجزائر؟ أين توجد أهم الأماكن التي أقام بها الفرنسيون بالجزائر؟ ما هي ميادين نشاطاتهم؟ التجارة؟ والمرجان؟ لماذا توقف صيد المرجان؟ ثم ما هو الدور الذي لعبته الجالية الفرنسية في الميدانين الاقتصادي والسياسي في الجزائر؟ وما هي الأبعاد الإيجابية، والأبعاد السلبية لهذا الدور أو لذاك؟؟ ومن الطبيعي ستكون الإجابة الصحيحة على جميع هذه الأسئلة وغيرها، محور دراستنا المفصلة والطويلة، خلال الأبواب الثلاث، بفضولها التسعة، ومباحثها السبعة والعشرين.

ثالثاً : منهجية البحث

إن طبيعة هذا البحث تقتضي استعمال المنهج التاريخي الذي يقوم على الوصف والتحليل للأحداث والحقائق التاريخية بالدرجة الأولى، ومع ذلك لا مفر من اللجوء إلى الاستعانة

بالمنهج الإحصائي والرياضي عندما تقتضى الحاجة، لاسيما عند دراسة بعض الموضوعات الاقتصادية والديموغرافية التي تحتاج إلى إحصاءات وجداول .

ونظراً لاختلاف الفصول الاقتصادية عن الفصول السياسية ، سنجد أنفسنا نلجأ إلى استخدام مناهج العلوم الاجتماعية الأخرى حسب الموقف التاريخي وطبيعته. هذا بالإضافة إلى استعمال المنهج الاستقرائي- كلما دعت الحاجة- لكشف الحقائق والوصول إلى النتائج الصحيحة، وتحقيق الأهداف المرجوة من البحث.

رابعاً: خطة البحث

أما فيما يتعلق بالمنهج الذي اتبعناه في تقسيم الخطة، فهو يتلخص في تقسيمها إلى أبواب وفصول ومباحث، وهو كالآتي:

أولاً: المقدمة وفيها أشرنا إلى أهمية الموضوع ، والمنهج المتبع في ترتيب أجزاء البحث مع دراسة تحليلية لأهم المصادر وبعض المراجع التي اعتمد عليها هذا البحث، وفي نهايتها خاتمة شكر وعرفان لأساتذتي الكرام ولأهل الفضل والإحسان.

ويتلو المقدمة فصل تمهيدي : وهو عبارة عن عرض موجز للعلاقات الجزائرية الفرنسية قبل الفترة المدروسة لتكون أرضية مهياة ومدخل لتلك الفترة لإنجاز ما يمكن إنجازه خلالها .
الباب الأول: تناولنا فيه مفهوم الجالية الفرنسية، ومكوناتها منذ نشأتها بالجزائر وأماكن إقامتها، وهو يتكون من ثلاثة فصول هي :

الفصل الأول : مفهوم الجالية الفرنسية، وكيفية نشأتها وتطورها في الجزائر.

- المبحث الأول: التعريف بالجالية الفرنسية لغة واصطلاحاً.

- المبحث الثاني: نشأة الجالية الفرنسية في الجزائر.

- المبحث الثالث: أماكن إقامة الجالية الفرنسية في الجزائر .

الفصل الثاني: دراسة نوعية لفئات الجالية الفرنسية. ويشتمل أيضا على ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول: وتناولنا فيه فئة السلك الدبلوماسي (القناصل ونوابهم) .

- المبحث الثاني: خصصناه لفئة (المبعوثين الرسميين) .

- المبحث الثالث فهو يتناول بالدراسة (التجار والمسيرين الإداريين) .

الفصل الثالث: يدور حول المؤسسات الفرنسية بالجزائر، ثلاثة مباحث هي:

- المبحث الأول : تعرضنا فيه للمؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري
- المبحث الثاني: لدراسة المحلات التجارية الفرنسية بالعاصمة.
- المبحث الثالث: ويتناول نشاط الفرنسيين بالغرب الجزائري .

الباب الثاني : الدور الاقتصادي للجالية الفرنسية في الجزائر أواخر العهد العثماني، في ثلاث فصول هي:

- الفصل الأول: التجارة الخارجية الجزائرية ودور الفرنسيين فيها.
- المبحث الأول : التجار الفرنسيون والإجراءات الإدارية بفرنسا .
- المبحث الثاني: التجارة الخارجية الجزائرية وإجراءاتها
- المبحث الثالث: المبادلات التجارية بين الجزائر وفرنسا
- الفصل الثاني : خصصناه لدراسة الموارد المالية وعوائدها.
- المبحث الأول: صيد المرجان وعوائده
- المبحث الثاني : الأسرى الفرنسيون بالجزائر كمورد مالي
- المبحث الثالث: الإيتاوات والهدايا الضرائب والرسوم الجمركية
- الفصل الثالث: يتناول الدور الاقتصادي لمختلف الفئات.
- المبحث الأول: دور القناصلة الفرنسيين في الدفاع عن التجارة .
- المبحث الثاني : دور التجار الفرنسيين الاقتصادي
- المبحث الثالث : دور الأسرى الفرنسيين الاقتصادي بالجزائر
- الباب الثالث: الدور السياسي للجالية الفرنسية في الجزائر. أواخر العهد العثماني و فيه:
- الفصل الأول: إيجابيات الدور السياسي للجالية الفرنسية، التي تتمثل في:
- المبحث الأول : توطيد العلاقات بين البلدين بواسطة القناصل
- المبحث الثاني: إبرام المعاهدات وتعديلها
- المبحث الثالث : علاقة الجالية الفرنسية بالجزائريين
- الفصل الثاني : يتناول سلبيات الدور السياسي للجالية الفرنسية بالجزائر
- المبحث الأول: التجسس والجوسسة
- المبحث الثاني: مواقف فرنسا العدائية والتهديدات المستمرة

- المبحث الثالث: نكران الديون الجزائرية.

الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى الدور السياسي للقنصلة الفرنسيين.

- المبحث الأول: دور الإدارة القنصلية للجالية الفرنسية بالجزائر

- المبحث الثاني: الدور السياسي للقنصل فالبير دي بوا ثانفيل بيير دوفال

- المبحث الثالث : الفرنسيون ودورهم في نهاية الحكم العثماني بالجزائر

- الخاتمة : ملخص لما توصلنا إليه من نتائج .

وأخيرا الملاحق وقائمة المصادر والمراجع: قائمة مرتبة ومنظمة بأوعية الإنتاج الفكري التي لها ارتباط بموضوع بحثنا يتلونها فهرس الأعلام و فهرس الأماكن ثم قائمة المحتويات.

خامسا: نقد المصادر والمراجع

من البديهي أن المصادر والمراجع لها أهمية خاصة في سير البحث، وتوجيه الباحث. لأنها تمدّه بالمادة العلمية الأصلية التي يتم تحويلها إلى إنجاز جديد، وفي بحثنا هذا نجد مصادرنا أغلبها وثائق رسمية- مراسلات ونصوص المعاهدات- أما المصادر المطبوعة فهي شحيحة جدا. وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك بعض المصادر المطبوعة باللغة العربية نذكر منها :

- دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تحقيق المهدي البوعبدلي. وهو كتاب

مهم، في ظاهره يغطي تاريخ مدينة وهران، لكن في باطنه يغطي تاريخ الجزائر العام.

- كتاب نور الدين عبد القادر "صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم العصور إلى انتهاء

العهد التركي". ويعتبر مصدر هام لتاريخ الجزائر الحديث وبشهادة المؤلف نفسه حيث قال عن

كتابه: " نفتح القول هنا بأن هذه أوراق مجموعة في تاريخ مدينة الجزائر، بالخصوص فيما

يتعلق بالخبر عن علمائها وفقهائها وقد اعتمدنا على تقايد أو نقييدات لكاتب عاش في الجزائر،

ولكننا لم نجد ذكرا لاسمه، وذكر هو في تقايدده" أن أباه هو المفتي الحنفي الشيخ حسين بن

رجب شوش" أما المؤلف نور الدين عبد القادر الذي أعاد ترتيب المادة، أو على الأصح قام

بدور المحقق للمخطوطة، فقد أشار إلى أن ابن المفتي ولد بجزائر بني مزغنة" (*). وتكلم لنا

*- جزائر بني مزغنة: هذا هو اسم الجزائر العاصمة القديم كما سماها مؤسسها بلكين- بن زيري بن مناد الصنهاجي نسبة لقبيلة صنهاجة التي لعبت دورا عظيما في بلاد المغرب سنة 960 م . انظر: أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي. المسالك والممالك والمفاوز والمهلك بيروت مكتبة الحياة ، ص77 بمجلة الأصولة الجزائر. ع جوان 197. صص 19-20 ؛ محمد حاج صادق(محقق) . المغرب العربي من كتاب نزاهة المشتاق للإدرسي الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية . 1983. ص 114 .

عن أسلوب ابن المفتى وطريقته في الكتابة فقال: " وإن كان استعمال اللغة الدارجة أحيانا فالفائدة التاريخية المرجوة موجودة"، وبهذا يصبح- صاحبنا- مؤلفا مجهولا عرف بابن المفتى ، كما جاء في التقايد والذي يهنا هنا أن هذا الكتاب بمحتواه يعتبر مصدر ثانوي لتاريخ الجزائر الاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

بالإضافة إلى ذلك هناك بعض المعاجم والقواميس اللغوية التي لا غنى عنها للباحث الذي يترجم النصوص في تعريف المصطلحات واستخراج الدلالات والمعاني اللغوية. ومنها:
- الزركلي خير الدين. الأعلام؛ قاموس أعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين يعتبر من أهم مصادر الأعلام، وكذلك معجم المصطلحات العلمية والفنية-إعداد يوسف خياط للبحث عن معاني المصطلحات العربية بالفرنسية .

المراجع العربية

أما المراجع العربية فعددها كبير نذكر منها كتاب- على عبد القادر حليمي". مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1930. وهو عبارة عن دراسة جادة حول مدينة الجزائر من الناحيتين الجغرافية والتاريخية منذ نشأتها حتى عام 1830. وقد أهتم الباحث بأحداث العهد العثماني بالمدينة. أي في صميم الموضوع الذي ندرسه، ويتناول العلاقات الجزائرية الفرنسية وكل نشاط الجالية الفرنسية السياسي والاقتصادي بالجزائر، ويكفي أنه درس كل المعاهدات المبرمة بين البلدين وكذلك كتاب جمال قنان. معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830) وهو كتاب يغطي منذ القرن السابع عشر ميلادي حتى ساعة الاحتلال الفرنسي للمدينة. ولعل ما يميز هذا الكتاب كونه دراسة أكاديمية تميز صاحبها بالقدرة والكفاءة في تحليل ومعالجة القضايا العويصة بأسلوب علمي مبسط خاصة وأنه تناول العلاقات الجزائرية الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر ميلادي .
أما محمد العربي الزبيري في كتابه: "التجارة الخارجية للشرق الجزائري" فقد تناول بطريقة متميزة مختلف الجوانب الاقتصادية والسياسية بين الفرنسيين والجزائريين، ويعتبر كتابه هذا في الحقيقة مصدر هام، لأن الحقائق التي يحتويها بين دفتيه نادرة، وليس من السهل الوصول إليها لاسيما في المصنفات العربية، فضلا عن كونه يتكلم بالتفصيل عن الجالية الفرنسية بالجزائر أفرادا ومؤسسات، ويتعرض لكل النشاطات الاقتصادية كالتجارة الخارجية وصيد المرجان والموارد المالية الخارجية والداخلية، وحتى العلاقات الجزائرية الفرنسية، فهو كتاب بحق

يعتبر حجة في موضوع الجالية الفرنسية ونشاطها الإقتصادي بالشرق الجزائري .

وإذا انتقلنا إلى المرحوم مولود قاسم نايت بالقاسم نجده قد ترك لنا كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. وهو مرجع ويعتبر هو الآخر - مصدر ثانوي في نفس الوقت، لما يحتويه من معلومات نادرة ووثائق أصلية. وقد تناول فيه العلاقات الجزائرية الأوروبية، فوضع أوروبا بكاملها في كفة، وفرنسا وحدها في كفة أخرى، وذلك لأنه وضع كل الدول الأوروبية والمعاهدات المبرمة بينها وبين الجزائر في الجزء الأول. وخصص الجزء الثاني من كتابه هذا لدراسة العلاقات الجزائرية الفرنسية وحدها، وسرد فيه كل المعاهدات المبرمة بين البادين طيلة العصر الحديث فهو مرجع لا يستغنى عنه باحث في تاريخ الجزائر العثمانية .

والمرحوم الأستاذ أحمد توفيق المدني هو الآخر قد ترك لنا عدة كتب هامة نتناول تاريخ الجزائر في مقدمتها كتابه الهام " حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا" . وهو كتاب تناول فيه العلاقات الجزائرية الأسبانية طيلة ثلاثة قرون متتالية، غير أن الكتاب يتناول إلى جانب العلاقات الثانية بين إسبانيا والجزائر ، قضايا أخرى متنوعة محلية وعامة في العهد العثماني وبعض الحقائق التاريخية والجغرافية. مثل اكتشاف العالم الجديد وكلامه عن التتار واجتياحهم شرق العالم الإسلامي وغير ذلك من الأحداث التاريخية الهامة .

- عبد القادر جغلون . تاريخ الجزائر الحديث . يتناول هذا الكتيب جوانب من تاريخ الجزائر في فترات زمنية مختلفة، وقد عالج موضوع الامتيازات الفرنسية بالجزائر واثرت ذلك على المجتمع الجزائري قبل عهد الاستعمار، ولاسيما من الناحية الاقتصادية، وقد تعرض الكاتب للتجارة الخارجية الجزائرية وبين دور الفرنسيين السلبي في ذلك .

المراجع المترجمة إلى العربية

من المراجع المترجمة إلى اللغة العربية وأهمها حول موضوعنا كتاب جون. ب. وولف. الجزائر وأوروبا (1830-1500) ترجمة أبو القاسم سعد الله؛ وهو كتاب يتناول تاريخ الجزائر وأوروبا بصفة عامة، ولكنه في الحقيقة يركز على العلاقات بين فرنسا وإيالة الجزائر، حتى تكون النتيجة احتلال هذه الأخيرة من طرف الأولى، ويتميز الكاتب بتحيزه الظاهر للفكر الغربي ومحاولة الحط من قدر الأتراك والمسلمين وهذا ما يجعله يتجنب الموضوعية نوعا ما .

- شارل أندري جوليان. هو الآخر ترك لنا كتابه " تاريخ إفريقيا الشمالية " الذي يعد مرجع هام

لتاريخ البلدان المغاربية الثلاثة عبر العصور المختلفة وفي الفترة الحديثة يذكر دولها ونشاطها السياسي والاقتصادي. ويشير إلى أن الفرنسيين كان لهم حصبة الأسد في التجارة الخارجية نتيجة تمتعهم بالامتيازات ما عدا المغرب الأقصى. هو يتناول تاريخ البلدان المغاربية الثلاثة منذ القدم حتى الاحتلال الفرنسي لكل دولة منها.

أما أندري برينيان، فيعتبر كتابه: "الجزائر بين الماضي والحاضر" مرجع لتاريخ الجزائر كما يدل عنوانه "الماضي والحاضر" ويحاول صاحبه أن يكون موضوعيا في سرد الأحداث، غير أن ترجمته العربية فيها بعض التعقيدات اللغوية التي لا تسمح بالفهم الدقيق للمعاني المقصودة من طرف المؤلف أي أن الترجمة غير دقيقة ربما لعدم تمكنه من اللغة العربية.

- سعيد دحماني هو صاحب كتاب "من هيبون بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضري". وهو كتاب مترجم من الفرنسية اعتمد على كتاب "عنابة العسكرية للضابط الفرنسي مترو. ويتناول تاريخ عنابة عبر العصور ويركز على العصر الحديث، وتعرض فيه إلى الامتيازات الفرنسية بالشرق الجزائري والمؤسسات الفرنسية بتلك المنطقة.

ويعتبر كتاب حمدان بن عثمان خوجة. المرأة. ترجمة. م.ع. الزبيري. من المراجع الهامة للفترة العثمانية الأخيرة. ومصدر لفترة بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وليام سينسر. الجزائر في عهد رياس البحر. ترجمة عبد القادر زبادية، يعتبر كتاب مهم لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني فقد تعرض فيه المؤلف لكل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالجزائر خلال العهد العثماني. فهو يعد كمصدر ثانوي للفترة المدروسة.

وليام شالر. مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر خلال العقد الأخير من العهد العثماني ويعتبر شاهد عيان كتب ما لاحظه بعينه وما سمعه بأذنه، ومن واقع مذكراته الذاتية وبين لنا كثير من الحقائق التي حاول الكتاب الفرنسيون إخفاءها من تاريخ البلاد الجزائرية.

دوريات ومنشورات

كما استشرنا عدد من الدوريات التاريخية والأدبية التي تهتم بالتاريخ الجزائري الفرنسي المشترك وهي كالتالي :

- مجلة الأصالة الجزائر. وزارة الشؤون الدينية

- المجلة التاريخية المغاربية تونس (زغوان)

- مجلة الثقافة. الجزائر. (وزارة الإعلام والثقافة)

- مجلة جامعة قسنطينة (الجزائر)

- مجلة الدراسات التاريخية. معهد التاريخ (جامعة الجزائر)

- الملتقى التاسع للفكر الإسلامي. تلمسان- الجزائر- يوليو 1975.

- المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته. الجامعة التونسية. تونس 1979.

خامسا: المراجع الأجنبية:

-Albert Devoux. Le Registre des prises Maritimes traduction d'un document Authentique et inédit concernant le partage des captures Amenées par les Corsaires Algériens. Alger.

يتناول هذا الكتاب تاريخ الجزائر الحديث و حرب السباق البحري القرصنة، وما يترتب عنها من أسر وبيع وشراء وفدية، مع بيان نتائج ذلك على الأشخاص والعائلات والمجتمع..

- Alfred (Nettement) Histoire de la Conquête d'Alger. Paris. LECOFFRE

هذا الكتاب يتناول تاريخ الاحتلال للجزائر، لكنه يشتمل على مقدمة تتناول تاريخ الجزائر العام باختصار وعلاقة البلدين، ابتداء من القرن السادس عشر ميلادي حتى الاحتلال، ويركز المؤلف على نشاط القرصنة والأسرى المسيحيين بالجزائر .

-Charles Carriere. Négociants Marseillais au XVIII siècle. I.II. E Provence. 1973,2Tom.

هذا الكتاب يتتبع نشاط التجار الفرنسيين لمدينة مرسيليا خلال القرن الثامن عشر ميلادي. ونشاطهم مع البلدان الخارجية على المستوى العالمي التي منها الجزائر .

-Dan (Père pierre). Histoire de Barbarie et ses Corsaires. Paris 1646.

الأب دان أحد رجال الدين- قسيس- ومن الذين تولوا قضية تحرير الأسرى المسيحيين بالجزائر، يعتبر هذا الكتاب مصدرا لا يستغنى عنه باحث في تاريخ العهد العثماني بالجزائر .

-Plantet Eugène correspondance des Deys d'Alger. avec la cour de France 1579-1830.

يعتبر هذا الكتاب بلا جدال أهم مصدر فرنسي لدراسة هذه، وهو يجمع بين دفتيه كل الرسائل المتبادلة بين حكام الجزائر وحكام فرنسا من بداية القرن السابع عشر حتى سنة 1832، وهو مزود بهوامش وشروح ذات أهمية كبرى، ويتعرض للقناصل والمؤسسات والنشاطات السياسية والاقتصادية للجالية الفرنسية بالجزائر خلال أكثر من ثلاثة قرون.

هذا بالإضافة إلى مجموعة من المراجع الهامة في تاريخ الجزائر باللغة الفرنسية لاسيما التي

تهتم بالاحتلال الفرنسي للجزائر، وأغلبها تبدأ بفصول تمهيدية لفترة ما قبل سنة 1830 منها:

-Gabriel Esquer .Collection de documents indit sur l'Histoire de l'Algérie apres1830.

هذا المصنف يتناول وثائق رسمية وتقارير كتبها أصحابها من ذوي الكفاءة والمكانة وهم على التوالي السيد بوتان الضابط المهندس والجاسوس الفرنسي، والثاني هو القنصل الفرنسي بالجزائر السيد دي كيرسي أما الثالث فهو القنصل الفرنسي دي بوا تانفيل والذي تولى هذه الوظيفة طيلة عهد نابليون بونابرت أي حوالي خمسة عشر عاما

-M. A.Thiers .Histoire de la Révolution Française . Tom 5, Paris .Furne et Cie , 1857

يتناول هذا المصنف تاريخ فرنسا بعد الثورة الفرنسية ، واثارها على الحياة الفرنسية وانعكاساتها على الأفراد ، وعلى العلاقات الجزائرية الفرنسية .

-Marcel Courdurie la Dette des Collectivités Publiques. de Marseille au XVIII Siècle .

يتناول السيد مارسيل كوردورير في هذا الكتاب المجموعات العامة وتاريخ الهيئات الفرنسية التابعة للغرفة التجارية بمرسيليا خلال القرن الثامن عشر ميلادي.

- Masson Paul les Etablissements Français en Barbarie

-Masson (p). Histoire du Commerce Français dans le levant a xviiiSiècle

وقد ترك لنا السيد بول ماصون مجموعة هامة من الكتب الاقتصادية التي تتناول تاريخ المؤسسات الفرنسية ونشاطها في مخلف بلاد المغرب والمشرق العربي، وبصفة خاصة البلدان التي كانت تحت الحكم العثماني منها، ومن تلك المجموعة يأتي هذان المصنفان اللذان يندر وجودهما في المكتبات ويعتبر الكتاب الأول أهم مصدر متخصص في موضوع دراستنا ، فهو قد تتبع فيه تاريخ المؤسسات الفرنسية في شمال إفريقيا ويغطي موضوع الجالية الفرنسية خلال العصر الحديث بكامله تقريبا، أي يغطي العهد العثماني من البداية إلى النهاية .

-Capitaine Maitrot Bône Militaire 44 Siècles de Luttes.

هذا الكتاب مصدر هام لتاريخ عنابة العاصمة الثانية للامتيازات الفرنسية بالشرق الجزائري ويتناول المؤسسات الفرنسية والمعاملات اليومية بين الفرنسيين والأهالي. ثم ينتقل إلى فترة الاحتلال الفرنسي وهو رغم اقتصاره على مدينة عنابة قد تناول الشرق الجزائري والفرنسيين.

-Morgan(v).A .completes History of Algiers .London .1731

-Gramment(Henri de) Histoire Alger sous la domination

مورقان ودي غرامون مصدران على درجة كبيرة من الأهمية، والرجوع إليهما ضروري لكل باحث في التاريخ الجزائري لاسيما الفترة الحديثة منه.

-Larousse la grande Encyclopédie Française vol 9.

قاموس للتعريف بالمصطلحات الهامة والتي تحتاج إلى شرح. وتوضيح.

-M.L.de MasLatrie Traités de Paix et de commerce au moyen age Paris. 1866. p89-90

هذا الكتاب مصدر للمعاهدات المغربية الأوروبية خلال العهد الحفصي.

-Venture de Paradis .Alger au XVIII Siècle

فانتور دي برادي. الجزائر خلال القرن الثامن عشر. رغم صغر حجم الكتاب يعتبر مرجع هام لتاريخ الجزائر الحديث، ولاسيما القرن الثامن عشر ميلادي وصاحبه واحد من الجالية الفرنسية. هناك أيضا بعض المراسلات الرسمية lettres مثل:

-lettres de Lemaire à MM Rouillé et de Machaullt les 4 juillet 1750; 13 mai, 12et 15 juin, 17 Août et 20 Sept.

ب- مصادر ومراجع أجنبية بأرشفات أجنبية :

- Relevé des Principaux Français qui ont Résidé a Alger de 1686 à 1830..in : Revue Africain, n 16,1872 R. A. 1877, n 21.

- رسائل رسمية ومذكرات متبادلة بين المسؤولين

- Mémoire sur les dernières hostilités des Algeriens contre le capitaine Prepaud.

-Mémoire sur le moyen de réduire les Algeriens et de les forcer à garder inviolablement la foi des traités.

دور الأرشيف

أرشيف مدينة قسنطينة

- أرشيف إكس أون بروفانس .

- أرشيف الغرفة التجارية والصناعة لمدينة مرسيليا" مراسلات الشركة الملكية الإفريقية"

- أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية: مراسلات الحكومة الفرنسية ودايات الجزائر.

بالإضافة إلى هذه القائمة من المصادر الهامة العربية والأجنبية احتوى البحث على عدد كبير

من المصادر المساعدة والمراجع الحديثة .

وفي الحقيقة أنه مع بداية عملية جمع المصادر والمراجع التي تغطي موضوع هذا البحث،

برزت بعض المصاعب التي يتعرض لها كل الباحثين الجادين وهي قلة المصادر بالجزائر، على الرغم من كثرتها بفرنسا بالإضافة إلى صعوبة الوصول إلى ما وجد منها، لاسيما دور الأرشيف الرسمية، الأمر الذي جعلنا نتردد بعض الشيء، لكن قناعتنا بأن البحث ما هو إلا تنقيب دائم، ومحاولة مستمرة للكشف عن المجهول وإظهار المغمور، دفعتنا لمواصلة الخطى من جديد، لجمع المادة العلمية، مما توفر لدينا من مطبوعات حتى تيسر لنا الحصول على بعض المصادر الهامة بأرشفيف ولاية قسنطينة والمكتبة الوطنية التونسية وأرشفيف غرفة التجارة والصناعة بمرسيليا. أما المراجع فهي متوفرة، ولا سيما في المكتبات الجامعية كما واجهتنا صعوبة الحصول على الوثائق الأرشيفية الفرنسية، وتصويرها بمركز إكس أون بروفانس؛ وعدم التمكن من تصوير كل الوثائق المتاحة لكثرتها، كما هو الحال بأرشفيف الغرفة التجارية والصناعية بمدينة مرسيليا.

وعلى العموم فقد اكتفينا بما أتيت لنا من كتب مطبوعة، ووثائق رسمية ومراسلات. ثم قمنا بترجمة كثير منها من الفرنسية إلى اللغة العربية وهو عمل جبار ومضاعف، ثم تحليل البيانات المجمعة، وترتيبها حسب الأبواب والفصول، ثم مناقشة الآراء والحكم لها أو عليها، بالإضافة إلى نقد بعض الأخبار المبالغ فيها، أو المتناقضة. وقد التزمنا الحذر قدر الإمكان عند تناول المعلومات من الرواية العربية والوطنية المتحمسة والتي تكون أحيانا مبالغ في تصوير الأحداث، وكذلك عند استقاء المعلومات من الروايات الغربية والتي بطبيعتها لا تخل من عبارات الاستخفاف، والتقليل من شأن كل ما هو غير أوروبي خاصة ما تعلق بالبلاد الإسلامية. وقد استفدنا من بعثتنا إلى تونس والتي ساعدتنا على سد كثير من الثغرات آخر الأمر حيث تمكنا من إضافة ما يقرب من المائة صفحة موزعة على عدة مباحث.

سادسا: الدراسات السابقة

رغم قلة الدراسات حول موضوع الجاليات، ولاسيما الأوروبية منها. فقد عثرنا على بعض الدراسات الجادة منها دراسة ليلي الصباغ. الجاليات الأوروبية في بلاد الشام. ودراسة محمد رزوق " الجالية الأندلسية بالمغرب العربي " م.ت.م. نوفمبر 1986. وكذلك بحث عبد المجيد قدور. هجرة الأندلسيين إلى الجزائر ونتائجها الحضارية خلال القرنين 16/17م "رسالة ماجستير نوقشت سنة 1994، بمعهد الحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية " .

هذا فضلا عن وجود بعض الدراسات كالتجارة الخارجية للشرق الجزائري لمحمد العربي الزبيري تتناول نشاط الفرنسيين بشرق البلاد خلال القرن الثامن عشر. ونفس القول يمكن قوله عن معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830-1619 لجمال قنان الذي درس أيضا العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830 وهو في الكتابين يدرس الجالية الفرنسية بالجزائر بمختلف فئاتها ونشاطاتها. و نجد باللغة الفرنسية الدراسات الآتيتين تدور حول موضوع الجالية الفرنسية بالجزائر .

-Devoux (A) Relevé des Principaux Français qui ont résidé à Alger de 1686 a 1830 .

-Veillot (L). les Français en Algérie souvenirs d' un Voyage fait en 1841.Tours

شكر وتقدير

وفي الأخير أنهي عملي هذا بخاتمة ضمنيتها أهم النتائج التي استطعت الوصول إليها خلال البحث، ولا أدعي الكمال . فالكمال لله وحده . ولا يفوتني أن أتوجه بأخلص آيات الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل المتميز الدكتور . عبد الجليل التميمي الذي خصني برعايته ومنحني من علمه ووقته رغم كثرة مشاغله ، كما أتوجه بشكري وعرفاني إلى أ.د.أحميدة عمير اوي) أستاذي المتميز الذي فتح لي قلبه ومنحني الكثير من جهده وفكره. وكذلك أتوجه بفائق الشكر إلى السادة الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الموقرة وهم: 1- الأستاذ الدكتور/ عمار بن خروف. 2- الأستاذ الدكتور / حنيفة هلايلي 3- الأستاذ الدكتور / صالح فركوس.

4- الأستاذ الدكتور/ محمد فرجاني. 5- الأستاذ الدكتور الطاهر عمري . . .

كما يجب أن لا يفوتني أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد، خاصة أفراد أسرتي الكريمة وزملائي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية جمال بيوض والأستاذ خالد روبيح ورياض بن الشيخ ورئيس الجامعة ونوابه والى موظفي المكتبة الجامعية. والحمد والشكر لله؟ الذي أعانني ووفقتني إلى إنجاز هذه الدراسة، التي أقدمها خالصة لوجهه الكريم . وأشكر الجميع مرة ثانية ووفقكم جميعا لما يحبه ويرضاه.

الفصل التمهيدي

بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية

حتى

منتصف القرن الثامن عشر ميلادي

الفصل التمهيدي

بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية

بادئ ذي بدء لا بد لنا من الإشارة، إلى أن هذا الفصل التمهيدي، ليس الهدف منه هو دراسة العلاقات بين البلدين، لأن ذلك يعد فوق طاقتنا هنا، وربما يحتاج إلى بحث مستقل، وإنما نسعى من وراء ذلك الوصول إلى معرفة مدى مساهمة تلك العلاقات الثنائية الأولى في تكوين جالية فرنسية بالجزائر، وكيف تطورت تلك الجالية- بدورها- مع الزمن .

لعل من أهم الأمور وأصعبها هو الكلام عن بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية بالتحديد. وذلك لأن المؤرخين الفرنسيين يحلو لهم- إن أرادوا ما يخدم مصالحهم الخاصة- أن يعودوا ببداية تلك العلاقات إلى أواخر العصر الوسيط، بل وحتى إلى أيام الحروب الصليبية. وقد ذكر بعضهم أنه كانت هناك علاقات بين الفرنسيين وملوك المغربيين الأدنى والأوسط، وأنه كان هناك معاهدات أبرمت بين فرنسا وملك بجاية أيام الحفصيين. وذلك كحجة لتبرير الوجود الفرنسي المبكر بسواحل الشرق الجزائري، وادعى امتلاك هؤلاء للامتيازات التي تسمح لهم باستغلال الشواطئ الجزائرية في صيد المرجان والمتاجرة مع مختلف أهالي هذه المنطقة، وذلك من أقدم العصور، وقبل مجيء الأتراك العثمانيين للديار الجزائرية ومنطقة بلاد المغرب الكبير بحوالي ثلاثة قرون من الزمن - على الأقل-(1)

بينما يرجع البعض الآخر من الفرنسيين ببداية تلك العلاقات- الجزائرية الفرنسية- إلى العشرينيات من القرن السادس عشر ميلادي، أي إلى بدايات الحكم العثماني بالجزائر، وحصول فرنسا على الامتيازات بالأقاليم العثمانية(2) بمقتضى معاهدة الامتيازات، التي حازت على موافقة حكومة الجزائر عليها أيضا، أيام التحالف العثماني الفرنسي، ضد إسبانيا وملكها

1- Plantet (Eugène) Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France 1579-1830. 2tomes. édition Bouslania -Tunis. t1. P xxvi ; M.L. de Mas Latrie. Traites de Paix et de commerce au moye age . Paris. 1866.pp10-102.

2 - المقصود هنا تحالف الدولة العثمانية مع فرنسا ضد الملك شارل الخامس، حيث تم بينهما إبرام معاهدة الامتيازات المشهورة والتي بمقتضاها حصلت فرنسا على امتيازات سياسية وأخرى اقتصادية بوسري مفعولها على كامل الأقاليم العثمانية. أنظر: محمد فريد بك المحامي تاريخ الدولة العلية العثمانية. بيروت، دار الجيل، 1977، ص ص 330-300، 682 ؛ مولود قاسم نايت بلقاسم. شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. الجزائر مدار البحث، 1985، مج2، ص 09 ؛ جمال قنان. معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830. الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص ص 34-35 .

شارل الخامس، وأيام التقارب الجزائري الفرنسي في بداية عهد الباي لارباي خير الدين باشا⁽¹⁾ فأصحاب الرأي الأول يعودون ببداية العلاقات إلى القرن الرابع عشر ميلادي، ويريدون بذلك أن يثبتوا أقدمية وجودهم بالمنطقة، ويستدلون على ذلك بأنه كانت لهم... هناك - مؤسسات تجارية قائمة منذ القدم بسواحل الشرق الجزائري، وبالتالي هذا يعطيهم الأهمية في امتلاك كل الأراضي التي حصلوا عليها بمقتضى معاهدة الامتيازات التي أبرمها مع الحفصيين، منذ أواخر العصر الوسيط. وأن دور سلاطين الدولة العثمانية في العصر الحديث، ما هو إلا مجرد اعتراف بتلك الحقوق، ومباركة تلك الملكية، لأنها تعتبر حق مكتسب للفرنسيين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أرادوا أن يظهروا أن الجزائر لم يكن لها وجود سابق كدولة، ولا تاريخ لها كأمة⁽²⁾.

وقد ذكر البعض أنها كانت عبارة عن أراضي مقسمة. إلى عدة ممالك، لا رابطة بينها، مثل بجاية وتلمسان وجزائر بني مزغنة⁽³⁾ وغيرها. مما يجعل الفرنسيين معمرين لها حقيقة، بل ويعطيهم الفضل في تعمير هذه البلاد الشاغرة، وتوحيدها ثم تطويرها، كما ادعي بعضهم - وما زال - وذلك بإدخال الحضارة والمدنية الأوروبية إليها، وذلك لا يتأتى - بطبيعة الحال - إلا بواسطة نشر اللغة الفرنسية⁽⁴⁾ هذا صحيح، ولكن بما يخدم مصالح فرنسا بالجزائر فقط.

أما الفريق الثاني فيذهب أنصاره إلى كون أن هذه البلاد قد احتلت من طرف الأتراك مع بداية العصر الحديث، وأن هذا البلد لم يعرف الاستقلال أبداً، وإنما تداولته دول أجنبية كثيرة، من فترة زمنية إلى أخرى، وهذا بدوره أيضاً يعطيهم - أي الفرنسيين - حق امتلاك مستعمرات بهذه الشواطئ، بحكم وجودهم السابق للوجود العثماني بالمنطقة - حسب رأيهم - وبالتالي يكون لهم حق الحصول على معاهدات الامتيازات، وحق تطبيقها بهذا الإقليم كغيره من بقية الأقاليم العثمانية، ولاسيما بعد تحالفهم مع الدولة العثمانية، صاحبة السيادة حسب منظورهم أيضاً⁽⁵⁾ وفي كلتا الحالتين النتيجة لصالح الفرنسيين، الذين يأخذون شرعية ملكيتهم بالشرق الجزائري

-
- 1- عرفت الجزائر العثمانية نظام حكم الباي لارباي والذي يعينه الباب العالي، وأول من تولى هذا المنصب هو خير الدين باشا. وكان هذا الأخير يطبق أوامر السلطان ويحترم معاهداته المبرمة مع فرنسا. انظر جمال قنان المرجع السابق صص 95-96.
 - 2 - مولود قاسم نايت بلقاسم شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، البعث، 1985، ج 2 ص 147.
 - 3- المقصود أن القطر الجزائري كان مقسماً إلى ممالك عدة، مما يعطي الفرنسيين الحق في تعميره كما ادعوا. انظر أحمد توفيق المدني حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا الجزائر صص 93-95.
 - 4- يدعي الفرنسيون أنهم هم الذين وحدوا القطر الجزائري بعد أن كلن مجرد شتات، ونقلوا له للمدنية الأوروبية بواسطة نشر اللغة الفرنسية انظر: Veuilot (L). les Français en Algérie souvenirs d' un Voyage fait en 1841. Tours p35.
 - 5- وجود الفرنسيين بالمنطقة قبل مجيء العثمانيين أعطاهم الحق في الحصول على الامتيازات بالجزائر بمباركة العثمانيين.

والغرب التونسي أيضا، من الدولة العثمانية التي منحتهم تلك الامتيازات، وهي الدولة التي كانت بالمنطقة آنذاك، ونتيجة لذلك بقي الفرنسيون ينظرون إلى مؤسساتهم بشرق البلاد طيلة العهد العثماني بالجزائر، على أنها ملك لهم، كقطعة من أراضى فرنسا ذاتها، ويعتبرون أي تدخل من جانب حكام الجزائر في شؤون المؤسسات الفرنسية، هو بمثابة اعتداء سافر على حرمان الفرنسيين ومكتسباتهم، وعلى الرغم من توالي الأحداث ومرور الزمن، ورغم ازدياد تعداد الفرنسيين، وتطور نشاطاتهم المختلفة، ظل هذا هو تفكيرهم لم يتغير، إلى أن استطاعوا في نهاية الأمر وضع حد للحكم العثماني بالجزائر، وأصبحوا مستعمرين وحكام لهذا البلد⁽¹⁾.

ولتوضيح هذه الادعاءات المغرضة، وللإطلاع على حقيقة العلاقات الجزائرية الفرنسية التي سمحت بالتالي بتكوين الجالية الفرنسية من البداية، ينبغي أن نناقش النقطتين الآتيتين :

1- التحالف العثماني الفرنسي

2- إبرام معاهدات الامتيازات

أولا : التحالف العثماني الفرنسي

مع بداية النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي ظهرت دولتان جديدتان إلى الوجود، إحداهما بالمشرق الإسلامي، وهي الدولة العثمانية، ولا سيما بعدما تم فتح مدينة القسطنطينية سنة 1453 ميلادي⁽²⁾ والأخرى بالغرب الأوروبي، وهي نولة إسبانيا المسيحية الحديثة، التي قامت على أيدي الملكين الكاثوليكيين فرديناند الخامس وزوجته إيرابيل على إثر سقوط مملكة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس وذلك سنة 1492 م⁽³⁾

وشاعت الأقدار ان تلتقي الدولتان وجها لوجه بأرض المغرب الأوسط - الجزائر - وفي وقت

1- ظل الفرنسيون يعتبرون منطقة الامتيازات - بالشرق الجزائري - منطقة احتكار خاصة بهم، ولا يحق للجزائريين دخولها إلا نهارا وبإذن أنظر: ANP, F12K 1834 A, Memoires sur la Compagnie Royale d'Afrique. أنظر أيضا جمال فنان معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830. الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1987، ص 320 ؛ محمد العربي الزبيري التجارة الخارجية للشرق الجزائري. الجزائر ش. مونت، 1972، ص 199.

2- كان فتح القسطنطينية في 29 مايو 1453 بمثابة انطلاقة جديدة للعثمانيين نحو أوروبا أنظر: يلماز أوزتونا تاريخ الدولة العثمانية تركيا، مؤسسة فيصل للتمويل 1988، ص ص 131-145. أنظر أيضا: شكيب أرسلان حاضر العالم الإسلامي دار الفكر بيروت، 1973، مج 1، ص ص 218-225؛ جلال يحيى العالم الإسلامي الحديث والمعاصر الإسكندرية. المكتب الجمعي الحديث 1982، ص 73.

3- حول نهاية نولة الإسلام بالأندلس أنظر: أحمد بن محمد المقرئ للعثماني نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب تحقيق إحصان عباس بيروت، دار صادر 1968، مج 4، ص 255؛ محمد عبد الله غنان نهاية الأندلس وتاريخ العرب الممتصرين ط 3، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1966، ص 78. أنظر أيضا:

Achille Fillias. Histoire de la Conquête et de la Colonisation. Paris. Arnauld de Vresse, 1860. p1

واحد. حيث بدأ الصراع العنيف بين الجانبين. وإذا كانت إسبانيا قد وضعت يدها على عدة مناطق من بلاد المغرب الأوسط، كاحتلال المرسي الكبير سنة 1505م، واحتلال مدينة وهران سنة 1509، ثم بجاية سنة 1510، ومستغانم سنة 1511م فقد استطاعت الدولة الجزائرية العثمانية الفتية أن تتصدى للأسبان، وأن تطردهم من تلك القلاع، ماعدا وهران والمرسي الكبير بقينا عشرات السنين تحت هيمنة الاحتلال الإسباني وذلك للتحصينات الشديدة التي أقامها هؤلاء⁽¹⁾

وفي الوقت الذي كان الصراع على أشده بين إسبانيا والجزائر كان هناك تقارب بين فرنسا والباب العالي، حيث بدأت الخطوة الأولى في عهد السلطان سليم الأول (1512-1520) وهو مقيم بالقاهرة سنة 1517م وطلب منه الاعتراف بالامتيازات الفرنسية ببلاد المغرب⁽²⁾.

وعندما كانت إسبانيا- آنذاك- تتطلع إلى الوصول إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، وكانت البرتغال تتطلع إلى إيجاد طريق تجاري جديد للوصول إلى الهند عبر المحيط الهندي؛ كانت فرنسا- آنذاك- تتطلع إلى الوصول إلى بيت المقدس، وإعادة تشكيل ممالك صليبية⁽³⁾ ثم إعادة القسطنطينية من العثمانيين- وهو حلم كل المسيحيين- وقد لقيت مشاريع ملك فرنسا تلك، تشجيعا من شعبه، و من طرف الأمراء الإيطاليين أيضا.

وقبل الاسترسال في طرح هذه القضية لابد أن أشير هنا إلى أنه للوقوف على حقيقة التحالف العثماني الفرنسي لابد من وقفة قصيرة عند تاريخ فرنسا آنذاك وبايجاز قدر الإمكان .

وهذا الأمر قد أدى بدوره إلى نشوب حرب طويلة الأمد بغرب أوروبا، نتيجة إلى ضموحات الإمبراطور- الجديد الشاب- التي ليس لها حدود، وكما أدى إلى تشكيل جبهة متحالفة ضد فرنسا، مكونة من البابا ليو العاشر، والإمبراطور شارل الخامس، وملك إنجلترا⁽⁴⁾ وذلك في شهر نوفمبر 1521. وكان هدف المتحالفين هو إخراج الفرنسيين من إيطاليا وتحطيم حلمهم القريب في إيطاليا، وحلمهم البعيد في الوصول إلى القدس واستعادة مدينة القسطنطينية التي

1- بقيت وهران والمرسي الكبير قرابة ثلاثة قرون تحت هيمنة إسبانيا (1505-1791). انظر: أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة. الجزائر ش. و. ن. ت. بدون تاريخ (كل الكتاب يدور حول تاريخ المدينة انظر أيضا:

Achille Fillias)(A). Histoire de la Conquête et de la Colonisation. Arnauld de Vresse.Paris,1860. P 03.

2- في الوقت الذي كان هناك تعاون وثيق بين الفرنسيين والعثمانيين كان الصراع بين إسبانيا والجزائر يجري على أشده وقد طلب السفير الفرنسي من السلطان العثماني الاعتراف بالامتيازات الفرنسية.

3- شارل الثامن هو ملك فرنسا الذي كان يتطلع إلى بيت المقدس وإعادة تشكيل ممالك صليبية بالمشرق. انظر: محمد فريد بك المحامي. تاريخ الدولة الطيبة العثمانية ص 69.

4- ملك إنجلترا هو هنري الثامن 1521. يلماز أوزتونا المرجع السابق ص 267 .

كانت حلم جميع المسيحيين- غير أن الحظ كما يبدو- لم يحالف الفرنسيين، وكان النصر من نصيب الجبهة المتحالفة ضدهم، ليس نتيجة لكثرة عددهم، وإنما نتيجة خيانة في صفوف الجيش إذ بادرقاند الجيش الفرنسي المحارب بيطاليا- الكونطابل دي بورمون (1) بالانضمام إلى جيش الإمبراطور شرلكان سنة 1522م. وانتهى الأمر بانهزام فرانسوا الأول في بافيا، وأسرده في شهر فبراير سنة 1525، ولم يطلق سراحه، إلا بعد توقيعه- مرغما- على معاهدة مدريد، وبعد أن ترك ولديه- رهينة- في هذه الأخيرة، وذلك حتى يتم تطبيق بنود المعاهدة بحذافيرها(2).

ومن المعلوم أن الضغط يولد الانفجار والثورة. وهذا ما جعل فرانسوا الأول يتحالف مع العدو بعد عودته، ورأى أن بلده تسخر كل شيء لتطبيق معاهدة الذل والعار. وبدلاً من أن يتوجه إلى استعادة القسطنطينية، تحالف مع الدولة العثمانية ضد غريمه شارل الخامس، وكان الاتصال بين البلاط الملكي الفرنسي- أم الملك- والباب العالي قد تم على أساس أن يتدخل هذا الأخير لإطلاق سراح الملك الأسير بمدريد(3) وقد أسرع السلطان سليمان القانوني لنجدتهم وطمأنهم بأن ما تعرض له الملك الفرنسي ما هو إلا مجرد محنة عابرة، حيث جاء في رسالة رد بها السلطان على البلاط الملكي الفرنسي ما معناه: "أنا السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان إلى فرنسيس(4) كن منشرح الصدر ولا تكن مشغول البال، فإن ابني الكرام وأجدادي العظام نور الله مرآدهم، لم يكونوا خالين من الحرب لفتح البلاد ورد العدو، ونحن أيضاً سالكون على طريقهم، وفي كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة، خيولنا ليلاً نهاراً مسروجة وسيوفنا مسلولة، فالحق سبحانه وتعالى يبسر الخير بارادته ومشيئته"(5).

ويبدو واضحاً أن السلطان العثماني الذي كان يخترق وسط أوروبا بلداً إثر بلد، بكل بسالة وإقدام، قد زادتة نوسلات- ملكة فرنسا- شجاعة، ووجد فيها من يحالفه ضد عدوه شرلكان الذي تحدى الدولة العثمانية وفرنسا معا - كان كل منهما في حاجة لمن يحالفه ضد شرلكان (6).

-
- 1- دي بورمون الكونطابل قائد الجيش الفرنسي بيطاليا انظم لصفوف أعدائه. يلماز أوزتونا. المرجع السابق ص 268.
 - 2- فرانسوا الأول ترك ابنه رهينة بمدريد حتى يتم تطبيق المعاهدة أنظر: يلماز أوزتونا. المرجع السابق ص 268.
 - 3- محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق ص 97. Plantet(E).correspondence.tl.p xxix
 - 4- كلمة فرنسيس هنا يقصد بها البلاط الملكي الفرنسي. وهي هنا أم الملك فرانسوا الأول.
 - 5- ورد السلطان العثماني على البلاط الملكي الفرنسي بأنه رجل محارب كسلافه سيوفهم مسلولة وخيلهم مسروجة ليلاً ونهاراً أنظر: محمد فريد بك المحامي نفس المرجع. ص 85. أحمد توفيق المدني. المرجع السابق ص 275، أنظر أيضاً جمال قنن. معاهدات الجزائر مع فرنسا ص 34.
 - 6- السلطان العثماني هو سليمان القانوني الذي عاصر الملك الفرنسي فرانسوا الأول وكذلك خليفته هنري الثاني.

وكان من الطبيعي، ومن المتوقع أن يستقبل ذلك التحالف بالسخط الأوروبي العام، واعتبر تحالف غير طبيعي بين دولة إسلامية، وأخرى مسيحية، وأثار موجة من الاستياء والسخط في كل البلاد المسيحية، بما فيها فرنسا نفسها، لاسيما رجال الكنيسة. ومع ذلك، فقد جنت فرنسا من ورائه مكاسب جمة، وحصلت على امتيازات كبرى، مكنتها في الأخير من تحسين وضعها من جهة، ومن جهة ثانية ساعدتها على وضع خطة لمستقبل أفضل، لخوض مراحل الصراع المقبلة ودخول ميدان الاستعمار من يابه الواسع عبر المحيطات والقارات (1).

ويمكننا القول أن المكاسب التي جنتها فرنسا نتيجة تقربها من الدولة العثمانية لا يمكن حصرها، فهي مثلا من الناحية السياسية لم تطبق معاهدة مدريد التي كانت تخرج فرنسا على أراضيها. ويعود ذلك إلى التحول الذي طرأ على سياسة الإمبراطور شارل الخامس، الذي لم يعد يطمح إلى الهيمنة وفرض الوصاية على الكيانات السياسية بعد سنة 1529، وإنما أصبح في المرحلة التالية همه الوحيد المحافظة على المكتسبات في إيطاليا والأراضي المنخفضة، فضلا عن إحكام قبضته على الإمارات الألمانية والبروسية (2).

ويبدو أن فرانسوا الأول هو الآخر لا يثبت على حال واحد. ففي عام 1539 إكتب إلى السلطان يلتمس منه الموافقة على هدنة مع شر لكان بعد إبرام معاهدة نيس، فرد عليه السلطان بالفرض القاطع، حتى ولو أن شر لكان قام بإعادة القلاع والحصون إلى ملك فرنسا لا يمكن مهادنته (3). وهنا يبدو واضحا أن الجانب العسكري والسياسي للتحالف العثماني الفرنسي، لم يكن مرغوبا فيه من الطرفين، وإنما كان حتما فرضته الظروف القاهرة، ولاسيما فرنسا حينما وقع ملكها أسيرا، أما العثمانيون فقد أدت بهم الأنفة والشهامة لذلك، والوقوف مع فرنسا ضد عدوهما المشترك شارل الخامس. غير أن ذلك التقارب أثمر في جانبه الاقتصادي، ونتج عنه ما يعرف بالامتيازات التي أصبحت العنصر المحوري في كل المعاهدات الأوروبية المبرمة مع الدولة

1- المقصود أن فرنسا جنت كثيرا من الفوائد من جراء تحالفها مع الدولة العثمانية، ويكفي ذلك دخولها ميدان الاستعمار عبر القارات والمحيطات وذلك بعد المساعدات العثمانية والامتيازات التي منحتها لفرنسا بكامل الأقاليم بدون مقابل. أنظر جون ب. وولف الجزائر وأوروبا (1830-1500). أبو القاسم سعد الله (مترجم) الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 198، ص 282؛ يسري عبد الرازق الجوهري. الكشوف الجغرافية. بيروت، دار النهضة العربية، 1984. ص 188-189.

2- بعد هزيمة الإمبراطور شارل الخامس بالجزائر عام 1541 أصبح همه الوحيد هو المحافظة على المكتسبات الأيبانية فقط. ثم تخلى عن السلطة نهائيا بوقسم الإمبراطورية بين ابنه فيليب الثاني وأخيه فرديناند. أنظر يلماز أوزتونا. المرجع السابق. ص 288. أنظر أيضا مجلة الأصالة، ع 8. جوان 1972 ص 108-109.

3- السلطان سليمان القانوني رفض لفرانسوا مهادنة شر لكان رغم إصراره. محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق ص 100.

العثمانية فيما بعد، واستمرت تلك الدول المتنامية على ذلك المنوال لغاية سقوط أغلب الأقاليم العثمانية في أيدي الدول الاستعمارية، التي كشفت في الأخير عن نواياها وأطماعها جهرا إثر انهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى وسقوط دولة الخلافة العثمانية سنة 1924⁽¹⁾ وتعتبر معاهدة السيد لافوري مبعوث الملك فرانسوا الأول لدى السلطان سليمان القانوني، أول وأشهر معاهدة، وقد جاءت في شكل فرمان ومؤرخة بتاريخ 04 فبراير 1535 أكد الطرفان فيها على حالة السلم والوفاق بين الدولتين، مدة حياة العاهلين، وفي كل الأراضي التابعة لهما ثم وسعت تلك التسهيلات للتجار الفرنسيين بمدينة الإسكندرية لتصبح سارية المفعول بعد ذلك في جميع الأراضي التابعة للإمبراطورية العثمانية⁽²⁾

ويشير أحد الباحثين إلى أن ما يثير الانتباه بخصوص هذه المعاهدة، كونها تنص على مبدأ هام وأساسي في العلاقات الدولية، وهو المبدأ المتعلق بالمعاملة بالمثل. وقد نص على هذا المبدأ بصرامة فيما يتعلق بالترتيبات الخاصة بالتسهيلات للتجار من رعايا كلا البلدين. فالعثمانيون في فرنسا والأراضي التابعة لها، ورعايا فرنسا في ممالك الدولة العثمانية سواء بسواء. ف فيما يتعلق بحرية التنقل والرسوم الجمركية، وتفتيش المراكب في عرض البحر⁽³⁾ يعاملون بالمثل، في الحقوق والواجبات. غير أن هذا المبدأ سيهمل تماما فيما بعد، كما ذكرت إحدى الوثائق الرسمية خلال القرن الثامن عشر ميلادي متضمنة بنود تلك الامتيازات⁽⁴⁾

ويبدو أن الترتيبات التي تناولتها المعاهدات المختلفة كانت مكرسة إلى تأكيد وتدعيم الوضعية المتميزة للفرنسيين، وبصفة خاصة التجار منهم في أراضي الدولة العثمانية. وذلك بمنحهم التسهيلات المختلفة والتشجيعات، التي من بينها السماح لهم بشراء المواد الخام الضرورية للصناعة الفرنسية كالقطن والصوف والشمع والجلود وتصديرها. ولعل حصول تجار فرنسا

1- بقيت الامتيازات هي المحور الرئيس للعلاقات الثنائية حتى سنة 1830 بالنسبة للجزائر. وبالنسبة للدولة العثمانية حتى سقوط دولة الخلافة بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1924. جمال قنان. المرجع السابق ص 38؛ محمود السيد تاريخ أوروبا والأمريكتين. الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 2001، ص 78.

2- معاهدة الامتيازات جعلت مدينة الإسكندرية مفتوحة دون غيرها من المدن لكل التجار، بشرط الانضمام تحت لواء أحد القنصلين المذكورين موبيني أن تشير هنا إلى أنه لم يرد أبدا أي ذكر لأية معاهدة قبل سنة 1529. محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق ص 61-94؛ أنظر أيضا: جمال قنان نفس المرجع ص 35. Plantet(E). t1. pibid pxxx-xxx1.

3 - Gabriel Esquer . Collection de documents inédits sur l'Histoire del'Algerie apres 1830 .p96.

4- هذه الوثيقة تحتوي على النص الكامل للامتيازات منذ ظهورها إلى إضافة آخر بند لها وقد وقعت سنة 1740 وطبعت في باريس 1770 تحت عنوان : Capitulations ou Traites Anciens entre la Cour de France et la Porte Ottomane جمال قنان. معاهدات الجزائر. ص 36؛ محمد فريد المحامي. المرجع السابق. ص 46

على هذا الحق وحده ، يعد في حد ذاته امتياز لهم على غيرهم من التجار الأوربيين بالجزائر كما أبقى هؤلاء التجار من دفع ضريبة ما يعرف بالتحويل النقدي(1). أي رسوم نقودهم التي يدخلونها معهم إلى لأراضي العثمانية(2) ومنع أسر أو استرقاق من وجد منهم على متن سفن معادية للعثمانيين، بشرط أن لا يكونوا تجارا، أو عسكريين يعملون في تلك المراكب. وتم الترخيص للفرنسيين بنقل أية سلع تموينية من بلد معادي للعثمانيين، إلى بلد آخر معادي لهم أيضا، دون أن يتعرضوا للمصادرة أو الأسر، كما تم إعفاؤهم من دفع الرسوم الجمركية في الموانئ العثمانية، إذا ما تم استخلاصها في أحد الموانئ التابعة للدولة العثمانية .

ويبدو هنا أن فرنسا قد ركزت على الجانب الاقتصادي، واستطاعت الحصول على امتيازات اقتصادية خيالية في الأراضي العثمانية. وبمقتضى تلك المعاهدات الثنائية المبرمة بينهما(3).

ولعل الغريب في الأمر هو مطالبة فرنسا بتطبيق كل تلك المعاهدات، بكل امتيازاتها على الجزائر، بصفتها إقليما من أقاليم الدولة العثمانية. وكان فرنسا هي المسير لأمالك العثمانيين. وهذا الأمر - في الحقيقة- يشير إلى أن الفرنسيين كانوا يتصرفون بالعقلية الاستعمارية، التي ورثوها من العصور الوسطى، وهو الأمر الذي أثار جدلا طويلا، حتى تمت تسويته بطريقة مباشرة ومرضية للجانبين، أي بين الجزائر وفرنسا دون أي وسيط(4).

ونستخلص مما سبق أن التقارب السياسي الذي حصل بين فرنسا والدولة العثمانية، قد تطور وتحول إلى تحالف بينهما، ضد غريمتها "شركان" ، وأدى ذلك إلى إبرام معاهدات بينهما، منها معاهدة الامتيازات المشهورة. والتي استمر العمل بها رغم زوال التقارب المذكور، غير أنه كان من الصعب جدا تطبيقها على الجزائر بصفتها إقليم تابع لدولة الخلافة العثمانية، ولم يتم ذلك إلا بعد مناورات ومراسلات عديدة من الجانب الفرنسي وحده، إذ بعد توافد عدد من المبعوثين الفرنسيين على الجزائر توصل الجانبان إلى تفاهم ثنائي مرضي للطرفين، يقضي باعتراف فرنسا بالجزائر كدولة مستقلة في سياستها الخارجية، وتعترف الجزائر بحق فرنسا في الامتيازات.

1- التحويل النقدي: هو نسبة مالية تدفع في الإيالات للقباطنة مقابل نقل النقود من بلد إلى آخر . انظر:

Masson (p) . Histoire du Commerce Français dans le levant au xviii Siecle. Paris . lib. Hachett 1911.p497.

2- اعفى الفرنسيون دون غيرهم من الأوربيين من دفع رسوم النقد الذي يتم نقله مع التجار. والمستفيد الوحيد هم التجار الأوربيون وعلى رأسهم الفرنسيون. المجلة التاريخية المغربية. ع76/75 مايو 1974. ص176.

3- جمال قنان. معاهدات الجزائر وفرنسا صص35-36.

4- جمال قنان. نفس المرجع صص78-79.

ثانيا : إبرام معاهدة الامتيازات الفرنسية

لمعرفة بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية نجد لزاما علينا طرح قضية الامتيازات، التي هي بمثابة العمود الفقري لتلك العلاقات، من البداية حتى النهاية. فقد ظلت دائما سببا لتوتر العلاقات، ومصدر إزعاج بين البلدين من وقت لآخر، بل وباعت على الكراهية، ثم صارت في آخر الأمر- وهذا حقيقة- سبب النزاع الأخير الذي قاد البلدين إلى أزمة سنة 1827 ، والتي سافت بدورها العلاقات الثنائية إلى النهاية الحزينة والمؤسفة جدا يوم 5 جويلية 1830.

والامتيازات كما هو واضح من اسمها هي: إعطاء حقوق أو منح صفات، لشخص أو لمؤسسة أو لدولة، لم يحصل عليها غيرهم من الأشخاص أو المؤسسات أو الدول، وهذا هو ما حصل تماما للامتيازات الفرنسية، التي تحصلت عليها من طرف الدولة العثمانية مجانا، دون غيرها من الدول الأوروبية الأخرى، حيث أصبح لفرنسا حق الإشراف على جميع الرعايا المسيحيين في كامل الأقطار التابعة للدولة العثمانية، ورعايتهم أيضا، هذا بالإضافة إلى الامتيازات السياسية والاقتصادية والتجارية منها على وجه الخصوص (1).

كانت فرنسا آنذاك تعد أكبر المجتمعات الأوروبية قاطبة، وأكثرها سكانا، إذ قدر تعداد سكانها بحوالي خمسة عشر مليون نسمة مما أثار غيرة جيرانها، وكان الملك الفرنسي فرانسوا الأول بعد عودته من مدريد إلى عرشه، قد أصبح حريصا جدا على حرية بلاده، وعلى أن يجعلها تتمتع بنفوذها الخارجي الكامل، بعيدا عن سيطرة غريمه شارل الخامس، وكان يعلم أنه لا يصل إلى هدفه هذا، إلا بمساعدة دولة عظمى كالدولة العثمانية صاحبة أكبر قوة عالمية وأوسع مساحة على وجه الأرض قاطبة آنذاك (2).

فتظاهر الملك فرانسوا الأول بالتقرب من السلطان العثماني سليمان القانوني، ثم بدأ يحقق أهدافه الواحد بعد الآخر، متبعا ما يعرف- في أيامنا هذه- بسياسة خطوة خطوة، عن طريق ممثليه باستنبول، حتى تمكن في النهاية من إبرام- ما سبق ذكره- معاهدة الامتيازات الفرنسية والحصول بمقتضاها على حقوق ممنوحة بكامل الأراضي التابعة للدولة العثمانية (3).

1- الامتيازات أو التنازلات - هي منح حقوق لفرد أو دولة قصد استقلالها و المقصود هنا التنازلات التي منحت لفرنسا من طرف الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة فبراير 1536 راجع : محمد فريد بك المحامي المرجع السابق صص 91- 94

2- كانت رقعة الدولة العثمانية حوالي ما يقرب من ثلاثة قرون تمتد على ثلاثة قارات هي : آسيا وإفريقيا وأوربا.

3- محمد فريد بك المحامي نفس المرجع صص 91. فنان للمرجع السابق صص 35.

وتم توقيعها في يوم 18 فبراير سنة 1536 من طرف الوزير الأعظم داماد إبراهيم باشا⁽¹⁾ وقد ورد في بعض المصادر أن هذه المعاهدة كانت ترمي إلى مساعدة فرنسا على الخروج من محنتها، وتهدف إلى الحيلولة دون وقوعها لقمة صائغة في متناول ألمانيا وإسبانيا، وبذلك يكون الديوان الهمايوني⁽²⁾ قد منح فرنسا الامتيازات التجارية - على حساب رعاياه - والتي لم يعترف بمثلها لدولة أخرى من الدول الأوروبية. وهذا ما ساعد فرنسا على اجتياز الصعاب بسهولة، واحتلال مكان الصدارة طيلة العهد العثماني تقريبا⁽³⁾.

وكانت الامتيازات التي منحت لفرنسا شاملة لجميع الميادين، لتمكينها من النهوض على قدميها إثر الضربة الأليمة التي تلقتها في حربها مع الإمبراطور شرلكان، وانكسارها أمامه. ومما يؤكد ذلك أن الدولة العثمانية قدمت مساعدة كبيرة لفرنسا بتاريخ 1536/2/18⁽⁴⁾.

وقد أكد أحد الباحثين أن السلطان سليمان القانوني عندما دخل بغداد فاتحاً بتاريخ 31 ديسمبر عام 1534 وأقام بها أربعة عشر شهراً، حتى رتب الإدارة. وأثناء إقامته وصل إلى معسكره السيد لا فوري سفير فرنسا يوم ذلك يوم 2 أبريل 1535 والذي جاء قصداً تهنئته على فتوحاته الأخيرة، وقد تم استقباله من طرف السلطان سليمان⁽⁵⁾، وفي أوائل شهر فبراير سنة 1536 تم الاتفاق الرسمي والنهائي بين سفير فرنسا هذا والباب العالي. وصدر أمر شريف يقضى بمنح الامتيازات إلى الفرنسيين النازلين بجميع أقاليم الدولة العلية العثمانية⁽⁶⁾.

وهكذا تكون فرنسا قد حققت ما لم يحققه الأوائل، سواء من فرنسا، أو من الدول الأوروبية الأخرى، وذلك بحصولها على معاهدة الامتيازات التي هي قابلة للتطبيق في جميع الأقاليم المختلفة التابعة للدولة العثمانية بدون استثناء، وهذا - ربما - من حسن حظ فرنسا كما سيتبين.

1. يلماز أوزتونا. تاريخ الدولة العثمانية. ص 300.
- 2- محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق. ص 300.
- 3- الهمايوني: لفظ يطلق على الحملات التي يقودها الباشاه السلطان. بنفسه "سفر همايون" تعني بالتركية الحملات الهمايونية بقيادة للسلطان نفسه. أنظر: يلماز أوزتونا المرجع السابق ص 149.
- 4- القصد من هذه المعاهدة مجرد مساعدة فرنسا حتى لا تقع فريسة في أيدي الإمبراطورية الألمانية المقدمة، المساعدة في الدفاع عن الأراضي الفرنسية، وقد دخلت بعض القطع البحرية العثمانية أهم الموانئ الفرنسية لحمايتها. يلماز أوزتونا نفس المرجع. ص 300؛ محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق. ص 92-93.
- 5- جاء أن سفير فرنسا لدى الباب العالي السيد لا فوري قد ذهب لمقابلة السلطان سليمان القانوني (1520-1566) في بغداد يهنئه بانتصاره وكانت بداية أول علاقة دبلوماسية بين فرنسا والباب العالي. جون ب. وولف الجزائر وأوروبا ص 51.
- 6- محمد إبراهيم الفيومي. الاستمراق رسالة استعمار القاهرة، دار الفكر العربي، 1993. ص 74.

بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية

إن بداية العلاقات الجزائرية الفرنسية في العصر الحديث، وفي ظل الحكم العثماني لم تكن واضحة، ولم تحض باهتمام المؤرخين بما فيه الكفاية، ولم تأتي بها الوثائق المعاصرة. وإذا كان هناك تقارب حصل بين الجزائر وفرنسا أيام خير الدين، وذلك لضرورة أملاها الموقف الحرج الذي كانت تعيشه المنطقة، نتيجة لتهديدات الأسبان، واحتلال هؤلاء لبعض الثغور الجزائرية والمغربية. الأمر الذي جعلها- وهي دولة حديثة التكوين- وجها لوجه مع أكبر قوة مسيحية عاتية آنذاك، هي دولة إسبانيا الموحدة. فكان هذا سببا كافيا وداعيا للبحث عن حليف ونصير⁽¹⁾ ووجدت الجزائر ذلك النصير في دولة الخلافة الإسلامية، فلم تتأخر وانضمت إليها عن طواعية وباختيارها الحر⁽²⁾

وكانت فرنسا في هذه الفترة تجتاز مرحلة صعبة، وامتحانا عسيرا، نتيجة لما كان يعيشه الغرب الأوروبي تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية المقدسة، والتي تربع على عرشها الإمبراطور شارل الخامس ملك إسبانيا⁽³⁾ وكانت فرنسا تحيط بها أراضي الإمبراطور من جميع الجهات تقريبا، الأمر الذي جعلها مهددة ومحاصرة، في الوقت الذي كانت المنافسة على أشدها بين الملك الفرنسي والإمبراطور، الأمر الذي جعل الحرب بينهما مستمرة لا تعرف التوقف، وكان ذلك دافعا للتحالف مع من يعادي أعداءه⁽⁴⁾.

وقد كانت الدولة العثمانية في نفس الوقت هي الدولة التي تعهدت بان ترعى الجزائر وتحميها من كيد المعتدين. وبالتالي كانت الدولة العثمانية هي أساس التقارب بين دولة الجزائر وبين فرنسا، ولكن ذلك سيكون لفترة قصيرة جدا، وتمشيا مع الظروف القاهرة لكل البلدين.

ولعل خير دليل على ذلك هو موقف الملك فرانسوا الأول من الدولة العثمانية، إذ بمجرد رحيل خير الدين باشا من الجزائر إلى المشرق والذي تبعته هزيمة الإمبراطور شارل الخامس بعد

1- الدولة العثمانية أصبحت هي الدولة الإسلامية العظمى التي تقف أمام إسبانيا الحديثة حامية المسيحية الكاثوليكية. ولهذا انضمت دولة الجزائر تحت لواء دولة الخلافة الإسلامية طواعية: أي باختيارها، ولم يكن للجانب العسكري أي دور في انضمام الجزائر للباب العالي. انظر: عبد الحميد بن اشنهو. دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر ص 125.

2- أهل الجزائر كتبوا رسالة للسلطان العثماني يطلبون الانضمام إلى دولة الخلافة الإسلامية. أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا. 1492-1792. ش. و. ن. ب. ت. ص ص 197-198.

3- كان الغرب الأوروبي يعيش تحت سيطرة الإمبراطور شرلكان. جون ب. وولف. الجزائر وأوروبا ص 31.

4- كانت فرنسا في حاجة ماسة لمن يساعدها، فوجدت بغيتها في الدولة العثمانية فتحالفت معها ضد إسبانيا. أي أن كلا من فرنسا والجزائر كان يسعى للتحالف مع العثمانيين ضد عدوهما المشترك. Plantet(E).Corres. t1. p xxx-xxx1.

سنوات أمام مدينة الجزائر سنة 1541 أحس الملك الفرنسي أن الخطر - المحقق به - قد زال وأن الوقت قد حان للتخلص من ذلك التحالف البغيض، الذي ألب عليه شعوب أوروبا بكاملها، لاسيما بعد أن تأكد من أن غريمه بالأمس أصبح لا يهتم بالتوسع والهيمنة، كما كان منذ وقت قريب، وأن كل اهتمامه أصبح منصبا فقط - على المحافظة على المكتسبات بقدر الإمكان. وقد ظهر ذلك واضحا في عهد فيليب الثاني⁽¹⁾ نتيجة لعوامل قاهرة حلت بإسبانيا⁽²⁾ وجعلتها تتراجع شيئا فشيئا عن مكان الصدارة لمن هو أقدر وأكثر منها قوة وإمكانيات⁽³⁾.

وهذا الموقف ليس عيبا في السياسة الفرنسية، فهم معروفون بعدائهم الراسخ للمسلمين وعدم الوفاء بالعهود، هذا هو الصحيح في العلاقات العادية. لكن التحالف بين دولة إسلامية وأخرى مسيحية، فهو الأمر الشاذ والغير صحيح، أليس كذلك؟ وبالتالي اللوم يقع على الدولة العثمانية، وعلى سداجة موافقها السياسية، التي تقوم على مبدأ التسامح بغير حدود - وإمكانية التعايش مع الآخرين دون احتياط للعواقب، فمناصرة المظلوم دائما شيء جميل، ولكن ليس معنى ذلك التخلي على المبادئ الإسلامية، وإنما كان على السلاطين العثمانيين أيضا الاحتياط وعدم نسيان دروس الماضي، وما أكثرها في تاريخ البلاد الإسلامية الطويل⁽⁴⁾.

وحتى نهاية القرن السادس عشر كانت العلاقات الجزائرية الفرنسية متقلبة، وغير واضحة المعالم، رغم سعي حكومات فرنسا المستمر لفرض رغباتها على الجزائر من أجل تطبيق معاهدة الامتيازات، ومن أجل إقامة قنصلية فرنسية بها - فإنها عانت الأمرين من أجل الوصول إلى تحقيق ذلك الغرض، لكونها اعتمدت على مساعدة الدولة العثمانية وحدها، دون أن تعمل حسابا لحكام الجزائر الذين كانوا ينزعون إلى التحرر، ولو كانوا - في حقيقة الأمر - أتركا⁽⁵⁾.

- 1- تغير سلوك فرانسوا بعد رحيل خير الدين باشا إلى الاستانة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب، منها توجه إسبانيا نحو ثروات العالم الجديد، ثم هزيمة شرلكان بالجزائر سنة 1541. التي قضت على أحلام الإمبراطور وأحلام إسبانيا معا، مما سمح لفرانسوا بحرية الحركة والتصرف بعد زوال الخطر الأسباني. محمد فريد بك المحامي. المرجع السابق. ص 100. أنظر تفاصيل هذه الواقعة المشهورة "هزيمة شرلكان" في مجلة الأصالة الجزائرية ع 4، جوان 1972. ص ص 91-97.
- 2- بعد زوال الخطر الذي كان يهدد وفرنسا في عهد الملك فيليب الثاني بإسبانيا تخلى فرانسوا على محالفة الدولة العثمانية بوعد للصف المسيحي برئاسة البابا بروما والإمبراطورية المقدسة.
- 3- مشاكل مستعمرات أمريكا اللاتينية بهزيمة شرلكان في الجزائر أجبرت إسبانيا على التخلي عن مكان الصدارة لغيرها. كهولندا ثم إنجلترا وفرنسا على التوالي أنظر: أحمد توفيق المدني. حرب الثلاثمائة سنة. ص 377.
- 4- قيم ومبادئ الدين الإسلام تسمح بتعايش الشعوب وحوار الأديان، ولكن يجب الاحتراس من أهل الكتاب الذين وصفهم القرآن بأنهم أشد خلق الله عداوة للمؤمنين. أنظر: سورة المائدة الآية 82.
- 5- حول إقامة أول قنصلية فرنسية بالجزائر وإقامة أول علاقة دبلوماسية بين البلدين أنظر المقدمة من كتاب

ولعل هذا الأمر يحتاج إلى توضيح أكثر، لأن الآراء تختلف حوله، مع قلة المصادر وشح المعلومات، التي تناولت بداية العلاقات الدبلوماسية، بين الجزائر وفرنسا بمعناها الواسع وحتى ما كتب يعد تكرار وترديد لمحتوى أحد المصادر المعاصرة-آنذاك-لا أكثر. كان الفرنسيون ينظرون إلى الجزائر على أنها مجرد أحد الأقاليم التابعة للدولة العثمانية، وأنها لم تكن في يوم من الأيام دولة مستقلة بمعنى الكلمة. وعليه يجب أن يتبع التابع سيده، أي على الجزائر أن تطبق تعليمات السلطان وتحترم سياسته، وأن تحترم قوانين الأستانة، ومن هذا المنطلق راح الفرنسيون يطالبون الجزائر- باستعلاء- بتطبيق بنود معاهدات الامتيازات التي أبرمتها الدولة الفرنسية مع الباب العالي، والتي تسري على كامل الأقاليم العثمانية⁽¹⁾

لكن مع مرور الزمن تغير الوضع الدولي، ورجحت الكفة لصالح الدول الأوربية، نتيجة لنشاطها فيما وراء البحار، وفي العالم الجديد بصفة خاصة. وأصبح مسنولو الباب العالي يميلون كثيرا إلى الاستجابة لمطالب فرنسا، التي كانت تعرف كيف تشتري الذمم بالهدايا والرشاوى. فكانوا يحابون الغريب على حساب القريب، ويقدمون فرنسا على الجزائر. في الوقت الذي كانت هذه الأخيرة، هي سيفهم البتار في غرب البحر الأبيض المتوسط، وتسرع لمناصرتهم كلما دعا الداعي؛ بينما كانت فرنسا تنتظر للأتراك بازدياد، وتنتظر أن تدور عليهم الدوائر، وتصف دولتهم بالرجل المريض الذي تنتظر موته⁽²⁾

وفي أحيان كثيرة كانت توجه تهديدات إلى الجزائر، واتهامات إلى حكامها الأتراك من طرف أبناء جلدتهم المسؤولين بالأستانة من أجل إرضاء الفرنسيين. أليس هذا أمرا غريبا؟ إنه عيب ربما لا يعادله حتى عيب فرانسوا الأول عندما تحالف مع دولة الخلافة الإسلامية.

ولكن رغم كل المحاولات بقيت الأمور بالجزائر كما كانت عليه من قبل، ولم يصل الفرنسيون إلى تحقيق أغراضهم. وقد كان ذلك نتيجة لتطور النظام السياسي والإداري الجزائري في العهد العثماني، والذي وصل إلى ذروة تطوره مع نهاية القرن الثامن عشر كما سيأتي⁽³⁾ واستطاعت الجزائر الصمود في مواجهة جميع المؤامرات والتهديدات الموجهة نحوها وساعدها على ذلك

1- تسري على كامل أقاليم الدولة العثمانية أنظر نص المعاهدة محمد فريد المحامي. المرجع السابق ص ص 91-92.
2- في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تجود على فرنسا بخيرات أراضيها، كانت هذه الأخيرة تترقب بها الدوائر وتصفها بالرجل المريض. راجع: يلماز أوزتونا. تاريخ الدولة العثمانية. ص ص 647-651.
3- الجزائر العثمانية عرفت فترات رخاء وازدهار وفترات تراجع وتدهور، لا يمكن تعميم فترة بعينها على العهد كله.

عاملان، أحدهما ذاتي، والآخر يعود إلى وضعية الإمبراطورية العثمانية التي ظهرت عليها بوادر التراجع بعد أن كانت تتقدم على عدة جبهات. وبالتالي تأثر الجزء بالكل (1) فالعامل الأول يتلخص في أنه خلال عهد الدايات عرف النظام السياسي الجزائري استقرارا نسبيا من ناحية المؤسسات السياسية والإدارية على وجه الخصوص. فأصبح الداوي الذي بيده السلطة التنفيذية وحده، وكان يساعده في تأدية مهامه السياسية والإدارية ديوان خاص (2) وكان يقوم بتنفيذ أوامر الداوي- الذي هو بمثابة رئيس الدولة- مجموعة من الموظفين والضباط المتقاعدين، والذين كانوا هم بدورهم يشكلون الديوان الكبير، الذي يجتمع في المناسبات الرسمية والمواسم الدينية. وكان الداوي هو الذي يختارهم من بين كبار الموظفين والضباط، وكانت مهامه في هذه الفترة تكاد تنحصر في إقرار السلم والأمن، والمحافظة على النظام الداخلي، ولتحقيق ذلك كان على الداوي جمع المبالغ المالية اللازمة للإنفاق، على موظفي أجهزة الدولة والجيش، ولرعاية مصالح البلاد أيضا، وهذا الأمر جعل الداوي يتخذ معظم قراراته على انفراد دون الرجوع إلى مشاورة أحد من مساعديه أو المقربين منه (3).

أما العامل الثاني فيتمثل في وضعية الدولة العثمانية التي تقدمت بها السنون، وظهرت عليها بوادر الوهن، نتيجة الحروب التي خاضتها في أوروبا وآسيا، خلال أكثر من قرنين من الزمان، فقد اتسمت سياسة الدولة العثمانية خلال هذه الفترة تجاه الأقطار التي دخلت تحت لوائها، بعدم التدخل في الحياة الخاصة لهذه الأقطار، الأمر الذي جعل تبعية هذه الأخيرة للدولة المركزية مجرد تبعية اسمية رمزية تعتمد على الروابط الدينية ورموزها كإخلافة (4).

وفيما يتعلق بالجزائر كان تدخل استنبول في شؤونها محدودا جدا، ربما لبعدها الجغرافي عن مركز الخلافة (5) قياسا ببقية الدول الإسلامية الأخرى التابعة للإمبراطورية العجوز، والتي

1- في هذا الوقت ظهرت بوادر الضعف على الدولة العثمانية التي كانت تتقدم في القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأوروبا وبالتالي أثر ذلك على الجزائر على اعتبارها جزء من الدولة العثمانية. يلماز أوزتونا المرجع السابق ص ص 631-632 .

2- كان يساعد الداوي في أداء مهامه ديوان خاص وهو هيئة سياسية تتكون من موظفين ساميين، بينما كان يسهر على تنفيذ الديوان الكبير والديوان الصغير. للمزيد من المعلومات حول المؤسسات أنظر: جمال قنان. معاهدات. ص 244 وما بعدها؛ Gramment (Henri de). Histoire d'Alger sous la domination Turque. lerox, Paris, 1887, pp190-191.

3- أصبح الداوي يتخذ قراراته دون الرجوع إلى مستشاريه أحمد السليمانى. النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني. الجزائر، مطبعة دحلب، 1994. ص 25.

4- عادت الدولة العثمانية تهتم بمصالحها المركزية مما خفف من ضغطها على الأقاليم. عبد الله شريط. محمد مبارك الميلي (م.م). مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب 1985. ص ص 172-173.

5- البعد الجغرافي له أهميته في التحكم والسيطرة على الوضع الداخلي. والجزائر كانت بعيدة عن مركز الخلافة العثمانية

ازدادت مؤسساتها وهناً على وهن، لاسيما بعد إبرام معاهدة كارفيتش- سنة 1699، ومعاهدة استنبول سنة 1670⁽¹⁾. وهذه الوضعية الجديدة لتركيا جعلت الجزائر الفتية شبه جمهورية مستقلة لها صبغة عسكرية، ولها علاقاتها مع الدول الأوروبية مباشرة، فضلا عن علاقتها مع الدولة العثمانية نفسها، والتي تكمن في روابط دينية ومعنوية، وأصبحت الجزائر دولة متحالفة مع الدولة العثمانية في السراء والضراء، ولكنها ليست خاضعة لها إلا ظاهريا كدولة للخلافة. وهذا الجانب الديني جعل الجزائر هي التي تهب إلى مناصرة الدولة الأم كلما حلت بها ضائقة، وتتعامل مع الدول دون وسيط ولا رقيب، ولاسيما مع فرنسا التي أصبح ممثلها بالجزائر يلقب بالقائم بالأعمال كممثلها بالمغرب الأقصى تماما⁽²⁾.

وبالموازاة يمكننا القول أن فرنسا القرن السابع عشر قد تطورت عن فرنسا القديمة. وبدأت ترنو بعينها بعيدا إلى ما وراء البحار. متطلعة إلى خوض غمار الاستعمار في العالم الجديد والمحيطات، وقد دخلتها روح التنعالي والاستبداد، ولاسيما بعد الإصلاحات العامة التي أدخلت على الأجهزة والنظام الحكومي⁽³⁾ والتي أعادت الاعتبار للملك وأعطته المكانة اللانقطة به، وأعادت إليه سلطات الأقاليم الفرنسية التي كانت شبه مستقلة عن باريس⁽⁴⁾.

ومهما كان الأمر فإنه بإمكاننا القول أن العلاقات الجزائرية الفرنسية في العصر الحديث جاءت متأخرة جدا، عن العلاقات العثمانية الفرنسية. والدليل على ذلك هو عدم وجود قنصل أو ممثل للدولة لدى الأخرى، ولم يتم تعيين أول قنصل فرنسي بالجزائر حتى بدايات القرن السابع عشر ميلادي⁽⁵⁾. حيث يذكر أن مبعوثين فرنسيين قد زارا الجزائر فيما بين سنتي 1551-1553 قصد إقامة علاقات دبلوماسية وقيل أن زيارتهما لم تأتي بنتيجة تذكر في هذا الصدد⁽⁶⁾.

- 1 - ظهر ضعف المؤسسات العثمانية بعد معاهدة كارفيتش مع النمسا والبنديقية، ومعاهدة استنبول مع روسيا التي فقدت بمقتضاها الدولة العثمانية بعض أراضيها. محمد فريد بك المحامي. الدولة العلية العثمانية صص 135 و 141.
- 2- أصبح القنصل للفرنسي بالجزائر يلقب تماما كما هو بالمغرب الأقصى " قنم بالأعمال" لكن فرنسا مع ذلك ظلت تنظر إلى الجزائر على أنها تابعة للدولة العثمانية، خلافا لدولة المغرب الأقصى انظر: أحمد السليمان. النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني. الجزائر مطبعة دحلب، 1994. ص 5.
- 3- ظهر استبداد فرنسا بعد إتمام إصلاح النظام الحكومي الإقطاعي القديم وبناء أسطولها على يد كولبير. جون ب. وولف. المرجع السابق صص 140 - 315.
- 4- كانت الأقاليم الفرنسية شبه مستقلة عن الملك فأعيد تنظيمها وضمها إليه. جون ب. نفس المرجع صص 286 ؛

La Chambre de Commerce de Marseille à travers ses Archives XVII - XVIII siècles - P10

- 5- لم ينصب أي قنصل فرنسي بالجزائر حتى بداية القرن السابع عشر. Devoux. (A) in. R.A.n°16.1872. p 356
- 6 - على الرغم من تعيين حوالي أربعة قناصل فرنسيين فإنه لا أحد منهم استطاع الإلتحاق بمنصبه خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، فضلا عن زيارة بعض المبعوثين الفرنسيين الغير موفقة. Devoux (A) ibid. p357

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية